لالة زينب فكر وحضارة

دراسة سوسيولوجية لشخصية لالة زينب القيادية ودورها الحضاري في المجتمع الهاملي1897.1904م.

Lalla Zayneb Intellect and Civilization

A Sociological Study of Lalla Zayneb Leadership Personality and her Civilizational Role within the Hamili Society 1897-1904

د.قاسمي الحسني عواطف
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية.

الملخص :

إن للتاريخ عظماء، ولالة زينب من عظماء التاريخ الجزائري في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إمرأة استطاعت أن تجمع بين عبق التاريخ القديم وتستلهم وهجها من نور النساء الصالحات اللواتي صنعن مع الرجل وهج الحضارة العربية الإسلامية، وأن تكون في ذات الوقت إمرأة عصرية بمفهوم الفكر التنويري للمعاصرة، مازجة بين العلم والعمل الاجتماعي، بين الدين و القيادة، بين السياسة الإدارية والسياسة الإنسانية كفن تعاملي يستقطب أفراد المجتمع.

تنطلق هذه الدرسة من رؤية مالك بن نبي لمفهوم الحضارة، حيث نجد الإنسان بؤرة هذا المنظور ونواة تلك الرؤية، وهذا هو أس وأساس الفكر الحضاري أي الهوية، فهوية الإنسان بفكره وإبداعه، وهوية المجتمع بأصالته والمضي قدما نحو آفاقه ومستقبله، بالفكر والإنسان وأصالته وعيا وأرضا، لغة وتاريخا، دينا وإيمانا، واقعا وآفاقا. فلم يكن المشروع الحضاري الذي أسسه الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم وواصلته لالة زينب يرتبط بالإنسان الجزائري بقدر ماهو يرتبط بالإنسان كإنسان مهما كان العصر والزمان، ليس مشروعا يرتبط فقط بالاستقلال في مقابل الاحتلال، بل هو مشروع أكبر، إنه مرتبط بالفكر، مرتبط بالإنسان الهوية والكيان.

الكلمات المفاتيح: لالة زينب، الفكر، الحضارة، الإنسان، الهوية، الجمال.

Résumé:

Great men and women have always existed throughout human History. Lalla Zayneb was amongst those women who built Algerian History ending 19th and beginning 20th centuries.

She was inspired by old History glow and illuminated from all pious and righteous women and men who shared and edified together Arab-Islamic Civilization.

In the sense of enlightenment intellect of contemporaneity, Lalla Zayneb was a modern woman; she succeeded to bring together edification and social works, achieved associating leadership and religion, along with human and administration policies. A cooperating technique from Lalla Zayneb that attracted and polarized all community members at that time.

This study is based on Malek Ben Nabi' vision about the concept of Civilization; where human being is the center of this perspective, his identity is its nucleus.

Identity is both the fundament and exponential of Civilizational intellect. Human being identity comes from both his intellect and ingeniousness, land and language, history and religion, faith and

reality, whereas community identity comes from originality and magnanimity; all values together will inevitably lead any society to best outlooks.

The Civilizational project founded by Sheikh Sidi Mohamed Ibn Abi ElKacem, followed later on by his daughter Lalla Zayneb, was built for both Algerians and all human beings. A visionary Civilizational project valid for all eras and epochs, a scheme not just conceived for independence from colonial occupation, way bigger than that, it is a scheme connected to human being intellect, for his identity, entity and existence.

Keywords: Lalla Zayneb ,Leadership, Intellect, Civilization, Human being ,Identity , Beauty

إن للتاريخ عظماء، ولالة زينب من عظماء التاريخ الجزائري في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إمرأة استطاعت أن تجمع بين عبق التاريخ القديم وتستلهم وهجها من نور النساء الصالحات اللواتي صنعن مع الرجل وهج الحضارة العربية الإسلامية، وأن تكون في ذات الوقت إمرأة عصرية بمفهوم الفكر التنويري للمعاصرة، مازجة بين العلم والعمل الاجتماعي، بين الدين و القيادة، بين السياسة الإدارية والسياسة الإنسانية كفن تعاملي يستقطب أفراد المجتمع.

ليس غريبا عن المرأة العربية والمرأة الجزائرية اليوم أن تكون في مراكز القوى وأن تصنع وجه التاريخ المعاصر، لكن ما كان لها أن تصل إلى ما وصلت إليه اليوم، إلا بفضل ما قدمته الأمهات عبر الأجيال الماضية، من رحلة جهادٍ نحو بناء الرجال والمجتمعات، والنحت في الصخر لتحافظ على المكانة التي كرمها بها الإسلام، مكانة راحت تتراجع في عصور الجهل و الظلام بتراجع الحضارة العربية الإسلامية، تراجعا انعكس على قيمة هذا الكيان الخلاق المبدع وهو المرأة.

لقد عرفت المرأة الجزائرية البربرية بالمواقف البطولية التي ساندت الرجل في بناء الجزائر كدولة مستقلة، ساعدته في التحرير وصنعت معه الثورة في قلب الثورة، ففي ثورتها مع الرجل نحو الاستقلال، كانت تتحرر من قيود صنعتها المجتمعات العربية في عهد انحطاطها، عرفت المرأة الجزائرية بجلدها وصبرها، وقدم لنا تاريخ الجزائر المعاصر نساءً نقشت أسماءهن بحروف من ذهب: حسيبة بن بوعلي، جميلة بوحيرد، وريدة مداد، جميلة بوعزة وغيرهن.

وإذا ما رجعنا قليلا إلى القرن التاسع عشر، نجد نساءً عظيمات تميّزن بالإضافة إلى الجهاد والفكر التحرري الثوري، بطابع القيادة والسياسة كفن وإدارة، طبعن المجتمع الذي كنّ فيه، وتفوقن فيه على الرجل الذي ساندها وكان معها، كبرهان ودليل قاطع على قوة وتأثير المرأة الجزائرية في المجتمع، وعلى رأس هؤلاء الفضليات اللائي صنعن تاريخ الجزائر الحديث، وتميّزن بالرئاسة والريادة، وحسن تسيير المؤسسات الاجتماعية في القرن التاسع عشر، البطلة المجاهدة لالة نسومر 1830.1863م، التي أطلق عليها المؤرخ الفرنسي لوي ماسينيون، لقب "جان دارك جرجرة"، تشبيها لها بالبطلة القومية الفرنسية "جان دارك"، غير أنها كانت ترفض ذلك اللقب مفضلة لقب " خولة جرجرة" نسبة إلى خولة بنت الأزور، المجاهدة التي كانت تتنكر في زي فارس في صفوف خالد بن الوليد.

ومن أعالي جبال جرجرة إلى امتداد الصحراء، وتحديدا إلى مدينة بوسعادة التي أنجبت واحدة من أهم النساء الجزائريات التي وصل صيتها إلى مختلف البلدان والمناطق الإفريقية والأوربية، وكتب عنها الباحثون والمستشرقون، إنها الولية الصالحة لالة زينب بنت الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم 1850-1904م", التي تقول عنها إيزابيل ابرهاردت:" ..ربما هذه المرأة التي تلعب دورا إسلاميا عظيما هي الفريدة في المغرب الإسلامي".

هذه المرأة التي صنعت وجها آخر لتاريخ الجهاد وبناء المجتمع الجزائري، بفضل دورها الحضاري والاجتماعي الريادي في زاوية الهامل، فتميزت ولالا نسومر بمركز القيادة وفن السياسة، وخروج المرأة كقائدة وزعيمة اجتماعية روحية صوفية، تشرف على إدارة وقيادة مؤسسة اجتماعية روحية، كانت من أعظم زوايا المغرب العربي في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، هي زاوية الهامل لوالدها المؤسس الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم . قدس الله سره . والتي تولت مشيختها لالة زينب بعده، واصفا إياها الشيخ العاشور الخنقي:﴿ السيدة زينب الولية الصالحة، الغرة الواضحة، القارئة كتاب الله عز وجل، العالمة المتفقهة في الدين التفقه الأجل، ولله در صاحب الرسالة القائل:" المرأة الصالحة خير من ألف رجل" فسارت في المقام سيرة والدها الرجل بالرجل والقدم بالقدم﴾ [1] مطبقة وصية والدها في رسالة جاء فيها:﴿ وأنت يا ابنتي السيدة زينب فكوني بنية طيبة من أمور الدار والعيال لأني جاعلك بدلا من نفسي أسأل الله تعالى أن يجعل البركة فيك وأن تكوني من النساء الصالحات اللاتي قال فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم: إمرأة صالحة خير من ألف رجل غير صالح.﴾[2]

إن من أهم أسباب اختيارنا هذا الموضوع" لالة زينب فكر وحضارة، دراسة سوسيولوجية لشخصية لالة زينب القيادية ودورها الحضاري في المجتمع الهاملي1897-1904م" هو الكشف وبشكل أكثر دقة وتفصيلا عن معالم البناء الفكري والحضاري لهذه الشخصية في بيئتها المنغلقة، كدليل وبرهان على دور المرأة الجزائرية، فالجميل في شخصية لالة زينب أنها وهبت نفسها لخدمة المجتمع، حارمة نفسها من حياتها الخاصة، فكانت الأم الروحية لمئات اليتامى والمساكين وعابري السبيل، واصفة نفسها في رسالة إلى شيخ الإسلام القاضي بن الحفاف قائلة:﴿ إمرأة بكر مرجوة الخير، موسومة عند العامة بالصلاح، تالية لكتاب الله، ذات عفة وصيانة، تنفق مالها في سبيل الله على ذوي القربى واليتامى﴾.[3]

كانت قائدة وإدارية، فلقد تمكنت من مشيخة الزاوية بعد أن توفي والدها، ولقيت دعما كبيرا من المجتمع الهاملي، فأهم ما يثيرنا في هذه الشخصية، كيف لهذه المرأة المعجزة أن تحتل تلك المكانة وتصل إلى مركز القيادة، لمؤسسة ذاع صيتها في الأقطار، وكانت الإدارة الفرنسية تحسب لها ألف حساب، شخصية أثبتت وجودها في مجتمع ذكوري، مجتمع منغلق، إننا نتحدث عن مجتمع صحراوي، في بيئة وعصر صوفي ديني، له معالمه وتقاليده، مع هذا كان أكبر دور ريادي للالة زينب دورها الاجتماعي والحضاري، الذي دعمها فيه هذا المجتمع ذاته الذي يحمل جميع تلك الأبعاد والتفاصيل السالفة الذكر، إنه الإعجاز حقا! فكيف استطاعت هذه المرأة أن تقلب المعادلة وتضع معادلة جديدة في هذا المجتمع؟

كما يعد شوقنا لتفككيك الشفرة السياسية لهذه الشخصية من أهم الدوافع التي تقودنا إلى هذا البحث، لقد استطاعت لالة زينب أن تكسب حب الجماهير وأن تكتسب احترام الإدارة الفرنسية، لقد نالت الاحترام واستطاعت أن توازن المعادلة بين مجتمع مكافح ودولة محتلة، إنها كانت تجاهد وتكافح وفق منظور قريب من غاندي أي بالسلام والعلم والحضارة، راحت تبني مجتمعها بالعلم والتمسك باللغة العربية وبالدين، أي بثوابت المجتمع الجزائري كمجتمع مسلم، كما راحت بفكرها القيادي تسيرعلى نهج والدها الشيخ المؤسس، فقد كانت ذراعه اليمنى في جميع حاله وأحواله، ترافقه في جميع رحلاته وترحاله، وأشرف بنفسه على تدريسها، وبنائها كشخصية علمية دينية اجتماعية، راحت تدرس النساء والرجال، وتخاطب العلماء في المجالس، وأوكل لها الشيخ المؤسس السجلات التجارية والعقارية، فكانت

على علم بجميع التفاصيل الداخلية والخارجية لواحدة من أهم المؤسسات الاجتماعية الروحية في المغرب والمشرق العربي، ونعني بها زاوية الهامل، التي يراها المستشرق الفرنسي جاك بيرك من أهم الزوايا في المغرب العربي قائلا:﴿ إن تاريخ زاوية الهامل يهم تاريخ المغرب بأسره من حيث المجهود الذي بذلته بكل عزم في زمن الاستعمار وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تقوم مقام ملجأ الناس﴾.

رسالة جاك بيرك عن زاوية الهامل

إن سر وسحر الإعجاز في هذه الشخصية هو بناء الرجل لها وهو الشيخ المؤسس، الذي كان يعدها لهذا الأمر، كعلامة وبيان وبرهان على سير الشيخ المؤسس مع تعاليم الدين الإسلامي في إعطاء المرأة دورها الحضاري والقيادي، ولالة زينب جمعت بين دور المرأة الرئيسي كأم وبناء أجيال فكانت أمّا للآلاف من الأطفال اليتامى و المساكين، وبين الدور القيادي الإداري والسياسي بامتياز، وما شهادات الباحثين والعلماء والمؤرخين الذين عاصروها وشاهدوها وكتبوا عنها، إلا وثيقة تاريخية على هذا البعد الحضاري لهذه الشخصية.

فلقد تميزت السيدة زينب بالحضور القوي والشخصية الفذة؛ فبالنظر إلى سمعتها الطيبة وإمكاناتها العلمية وقوة شخصيتها استدرجت العلماء من جميع أنحاء الوطن، بل ومن خارج الوطن، فتوجهت الوفود إلى الهامل قصد الوقوف على هذا المعلم الثقافي، ومعرفة ما يجري بداخله؛ من ذلك أن الرحالة بول أودال وجه الرحال لزاوية الهامل ﴿متطلعا لمعرفة معقل من معاقل العروبة والإسلام، حيث تحفيظ القرآن، ودراسة الفقه، بإدارة سيدة خلفت أباها في رئاسة الزاوية﴾[4] ولمعرفة هذه الشخصية محاولا فك أسرارها؛ أسرار الإنسان والمكان ناقلا ذلك في كتابه" صورة الجزائر أرضا وإنسانا"، فكانت زاوية الهامل إحدى أهم عناوين المكان، ولالة زينب إحدى أهم محاور الإنسان، واصفا لقاءه مع هذه الشخصية:﴿ ولم يكن من اليسير يومئذ، لقاء سيدة متعلمة، أو ربما عالمة، بالقرآن والفقه، وفضلا عن ذلك تنهض بمهام هي من طبيعة الرجال: سهرا، تخطيطا ومتابعة، وإدارة، اتصالات عامة: ثقافية، دينية، وسياسية، مع سلطات الاحتلال ومساعديه وعماله، وعملائه أيضا.﴾[5]

مسلطا الضوء على مشيختها للزاوية ورئاستها لأحد أهم المعاهد الإسلامية الصوفية في ذلك العصر:" لالة زينب لم تخلف أباها طمعا كسيدة من الأخوات المنضويات داخل سلم الأسرة من أجل المرتبة، لكنها كانت قوة مؤثرة بنفوذها، وتفرد لديها لا يضاهى"[6].

فمصدر تلك القيادة نابع من شخصيتها القوية المؤثرة في مجتمعها، هو المجتمع الذي أثرت فيه وأثر فيها، مجتمع تميزت فيه بالقيادة الروحية والفكرية والسياسية، فقادت مجتمعها بقيادتها لمؤسسة عتيقة، ومعهد رئيسي محوري في المغرب العربي، إنها زاوية الهامل، فسر هذه

الشخصية نابع من ذلك الذوبان في شخصية والدها المؤسس وذوبانها في مجتمعها، فاستمدت روحه القيادية النابعة من علمه وحبه وتواضعه لغيره، إنها قوة نابعة من الذات الفانية نفسها في خدمة مجتمعها، فأصبح المجتمع نفسه ذاتها، التي تقويها، تبنيه فيبنيها، تقويه فيقويها، تعلو به، فتعلو به ومعه.

ويواصل بول أودال وصفه لشخصية لالة زينب:﴿ إنها ولية في الإسلام، فهي التي ورثت ذلك عن أبيها الشيخ الكبير المؤسس، محمد بن أبي القاسم، من أصل شريف، وكذلك كل سلطته الروحية، الأخوية القوية التي كان يسير بها الزاوية، فيحول ذلك دون المساس بها، لذلك فإن 500 أو 600 من المتحمسين لها، هم الذين يلتفون حولها، يحبونها أي رهق، معتقدين أنهم بذلك يتحولون إلى بواسل في الحروب، فيجعلهم ذلك يستبسلون من أجلها، لكن من يتحدث عن حرب في هذه المنطقة؟ حيث لا قوة إطلاقا تستطيع أن تفكر في غزو ومنافسة، فمحبة لالة زينب التي توطدت لدى مريديها الذين أخلصوا لها لا تنضب أبدا.﴾[7] فياله من تلاحم وياله من ذوبان بين القائد والمريدين، بين الزعيم الروحي ومحبيه.

ومن ذلك كذلك أن وفدا رفيع المستوى من كبار المثقفين الفرنسيين قدم إلى الجزائر في رحلة الأربعاء 29 ديسمبر 1897م إلى الهامل، يرأسه شارل دي غالان، فلنستمع إلى شارل دي غالان في وصفه لها:" وعند خروجنا من المكان المقدس ضريح الشيخ محمد بن أبي القاسم، وجدنا أنفسنا امام ساحة صغيرة عند أقدام الجدران العلية في مواجهة البوابة الرئيسية، حيث وقف الطلبة من ورائنا كان الضغط شديدا بسبب تجمع الأتباع والإخوان، لكنهم كعادتهم بنظام وسكينة، فجأة فتح باب ذو دفتين، وعند عتبته وقفت إمرأة مكسوة كاللؤلؤة، إنها لالة زينب في ثوبها الناصع البياض وسط شعبها، وكأنها ملكة أو راهبة، وسرت رعشة في الجماهير المحتشدة لتحيتها ثم تلاها سكون مطبق﴾[8]

مواصلا قوله:" اقتربت منها وقبلت يدها، وقالت لنا: مرحبا بكم... وشعرت وكأن روح الشيخ تنبعث من جديد في شخصيتها، وأن سلطته تحولت إليها وأن النور الأبيض الذي يظهر من يوم لآخر حقيقة ويمثل الإيمان الحي."[9]

لالة زينب" 1850.1904م"

وتقول إبزابيل في مذكراتها بعنوان كتابات على الرمال:﴿ أمس رجعنا من الهامل نحو حوالي الساعة الثانية مساءً ... في كل المرات التي رأيت فيها " لالة زينب" كان ينتابني إحساس بالتجدد، وبالطمأنينة، وبسعادة لا أعرف لها سببا واضحا، لقد قابلتها أمس مرتين خلال الصبيحة، وكانت جد طيبة وجد لطيفة معي، وأبدت سعادتها لمعاودة رؤيتي، قمنا بزيارة ضريح محمد بن أبي القاسم، الصغير والبسيط، في المسجد الكبير الذي سيكون رائعا عند انتهاء بنائه، ثم قمنا بالدعاء في الجانب المقابل لمدفن الحجاج المؤسسين للهامل..... أسطورة حجاج الهامل تثير في رغبة الحلم، إنها حقا الأكثر قدسية في الجزائر ... هذه المذكرات التي بدأتها هناك في أرض المنفى البغيضة، في أحلك فترات حياتي وأكثرها ألما وتماسكا، وأكثرها خصوبة، بعذابات حياتي، انتهت اليوم، كل شيء في داخلي تغير جذريا، منذ سنة ها أنا من جديد على أرض إفريقيا المباركة، التي لا أرغب في مغادرتها أبدا.... صمت ثقيل، صمت الجنوب يخيم على بوسعادة، بقينا في هذه المدينة النائية جدا عن حركة التل البلهاء، نحس بثقل الحركة المميزة للجنوب، فليحفظ الله بوسعادة كما هي إلى الأبد.﴾[10]

إيزابيل ابرهاردت" 1877.1904م"

لقد اهتمت لالة زينب ببناء المجتمع فكريا وروحيا، كما اهتمت به اجتماعيا عن طريق البناء الاقتصادي، فكانت تهتم بالأراضي، كذلك كان لها عناية هامة كفنانة من طراز الأول بالفن المعماري، فأكملت بناء زاوية الهامل التي أسسها والدها سنة 1862م, واستقطبت لذلك البناء المعماري التحفة، مهندسين من فرنسا وتونس والمغرب وإيطاليا، وخصصت ميزانية خاصة للهندسة المعمارية ليكون هذا البناء دالا على الوعي الفكري للبناء الحضاري للأمة، في مجتمع كان يعاني الاستعمار والجهل والفقر، كانت شخصية فنانة ذات وعي وفكر حضاري بامتياز. فلقد﴿ بقيت في مكان الصدارة والإدارة زمنا، استطاعت خلاله إنجاز الكثير من الأعمال الهامة، كإتمام مسجد والدها الذي يعتبر تحفة معمارية، وآية من آيات الفن الإسلامي، استهلك آلاف الفرنكات، وبنائين من جنسيات مختلفة إيطالية وتونسية ومغربية وفرنسية، ساهمت كلها في إنجاز هذا المشروع الضخم، الذي كان يعد حسب ظروف المكان والزمان، مظهرا من مظاهر الروعة والجلل والغنى، دليلا على عناية السيدة بالدين الإسلامي، وتخليدا لذكرى والدها الراحل، وقد تركه والدها على ارتفاع حوالي مترين، فواصلت المشوار بعزيمة وثبات وقد تم البناء سنة 1904م.﴾ [11]

كما استطاعت أن تترك أثرا محمودا في ميدان الإرشاد والتعليم، وبقي المعهد في أيامها محافظا على سيره الدقيق، ورغم تنبؤات القائد كروشار إلى أن ابنة الشيخ، لا تستطيع وحدها تسيير الثروة الكبيرة، والأملاك الواسعة الموزعة على ثلاث عمالات، إلا أنها سارت في فترة توليها " 7 سنوات" على نفس نهج والدها، فقدت شهدت الزاوية رخاءً كبيرا، والثروة التي تركها والدها لم تتأثر، بل ازدهرت البساتين حول الزاوية, وبقي العدد الكبير من الزوار يؤمون الزاوية، ففي عهدها ظل المريدون يتوافدون على الزاوية من كل حدب وصوب، من متيجة ومنطقتي القبائل الكبرى والصغرى إلى عنابة من جهة الشمال، ومن جهة الوسط مرورا بأولاد جلال وبسكرة وتبسة إلى خط الجريد بتونس . نفطة، وتوزر، فقفصة، ومن الغرب جنوبي الونشريس إلى تلمسان وبالأخص السرسو والمهدية والسوقر وتيهرت ومعسكر وبعض نواحي وهران وتلمسان، والتعليم كان متواصلا، و ظل الناس يلتفون حول لالة زينب، لما لمسوا فيها من تواضع وكرم وقوة شخصية، كل هذا رغم الصحة المتدهورة للسيدة زينب، والعدد الهائل من المحتاجين والمساكين" بضع مئات يوميا" الذين كانوا تحت كفالة الزاوية.

لقد سارت لالة زينب على نهج والدها وحافظت على طريقته، من تعليم العلم، وإرشاد الخلق وفك النزاعات، وإطعام الطعام، والإحسان إلى الفقراء والمساكين، واعترف لها القاصي والداني بحسن إدارتها لشؤون الزاوية، ونجاحها في السيطرة على الأوضاع، ويعترف " آشيل روبير" بأن السيدة زينب أدارت الزاوية بنجاح، وأدارت بقية الزوايا التابعة لها بحكمة واقتدار كبيرين، وأقامت زوايا أخرى ونشرت الطريقة الرحمانية بدورها في أماكن جديدة، وكانت تنتقل من مكان إلى آخر تصلح بين الأعراش في صراعاتها وخلافاتها، كما واصلت الإشراف على أوقاف الزاوية بالحرمين الشريفين، وأبقت وكيل الزاوية الشيخ أحمد الأمين بن عزوز على وظيفته في السهر على تسيير تلك الأوقاف، كما واصلت دفع أجور علماء الحرم المدني التي كان والدها قد رتبها لهم. سعيا إلى عمارة المسجد النبوي، وقد خاطبوها بقولهم:" نخبة الأشراف من آل هاشم بن عبد مناف وصفوة السلالة النبوية، وخلاصة العترة المصطفوية، وزهرة بني الزهراء البتول وباكورة أبكار ذات المنصب الذي علا الأفلاك والقدر الحسن، سيد المسلمين وريحانة الرسول الموروث ممن خاطبه الجيل بلولاك لولاك... سيدتنا ومولاتنا الحرة المصونة والجوهرة المكنونة السيدة زينب ."

رسالة من علماء الحرم المدني إلى لالة زينب

إن لالة زينب وجه آخر من تاريخ الجزائر يجمع بين منطق النساء المسلمات الصالحات اللائي نقشن أسماءهن في صرح تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وبين المنطق الثوري في صورة جديدة هي صورة البناء الحضاري للمجتمع، لأن البناء الحضاري للعقول وتحرير الفكر أقوى بكثير من تحرير النفوس وتحرير الأرض، فكم من مجتمعات مقيدة لكنها مبدعة، وكم من مجتمعات متحررة لكنها مقيدة.

يحاول هذا البحث الغوص في تجليات هذه الشخصية اجتماعيا وروحيا وسياسيا وفنيا، كاشفا عن دور المرأة الجزائرية من باطن الصحراء، من خلال الأنموذج لالة زينب، مسلطا الضوء على دور المرأة في بناء المجتمع والحضارة وبناء الرجال، وفي اتجاه معاكس كيف يستطيع الرجال بناء نساء يصنعن التاريخ في قلب التاريخ، ويفجرن الثورة في قلب الثورة، ثورة مفهومها أعمق بكثير من تحرير الأرض، وتحرير مجتمع من قيود الاحتلال، إنها ثورة الفكر والعلم التي تنهض بها الأمم، ثورة الاتحاد والحب التي لا بد أن تجمع بين أفراد المجتمع، ثورة الامتداد الحضاري للبناء الفكري، الذي ينتقل من جيل إلى جيل، إمرأة نموذج كان لها بالغ الأثر في نفوس الرجال والنساء على حد سواء، كانت مركز استقطاب واهتمام للعلماء والباحثين إلى يومنا هذا، لأنها تمثل سحر المعادلة العاكسة كيف يتم بناء المجتمع بالعلم والعمل، وكيف تصنع المرأة الرجل وكيف يصنع الرجل المرأة، فلالة زينب ما كان لها أن تكون هذه الشخصية، إلا بفضل والدها الشيخ المؤسس الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، فياله من تلاحم فكري روحي إنساني بين الدور الريادي للمرأة والرجل وللرجل والمرأة في عصر قد يكون معروفا بالتقوقع والجهل، وكبح شخصية المرأة داخل الأسرة، وإن كانت الأسرة هي نواة المجتمع والأمة، كما كانت لالة زينب نواة المجتمع

الهاملي في عصرها وانعكست شخصيتها في نفوس جميع ربات البيوت، واعترف لها الرجال بحسن التسيير والإدارة بتفوق وجدارة، إنه المجتمع الهاملي قي القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ مسيرة كفاح وجهاد، بتحرير الفكر والروح وبناء المجتمع، فليس الجهاد فقط بالسلاح وليس التحرر فقط تحرر أرض، بل تحرر فكر، وهذا ما قاله الأمير عبد القادر إلى الشيخ المؤسس لزواية الهامل عندما أراد أن يلتحق بصفوفه للجهاد، قائلا له الأمير عبد القادر فيما معناه:﴿ إننا بحاجة إليك مجاهدا بالعلم والقلم، فلا ينقصنا المجاهدون بالروح، لكن ينقصنا المجاهدون بالفكر والعلم.﴾[12]

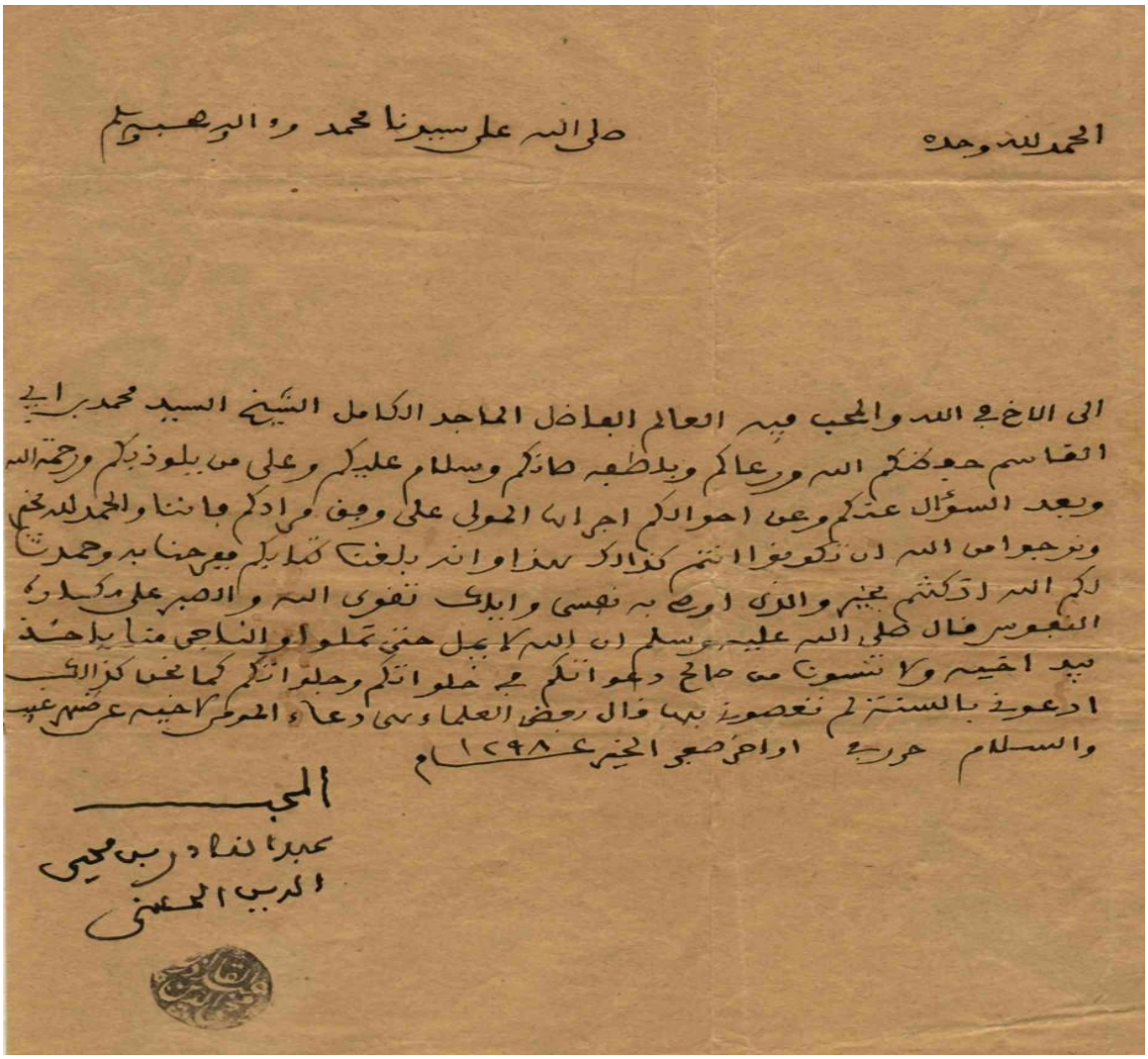
الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
الى الاخ في الله والمحب فيه العالم الفاضل الماجد الكامل الشيخ السيد محمد ابي القاسم حفظكم الله ورعاكم ولطف بكم وسلام عليكم وعلى من بلوذ بكم ورحمة الله وبعد السؤال عنكم وعن احوالكم اجرانا المولى على وفق مرادكم فالحمد لله نحمده ونرجو من الله ان تكونوا انتم كذلك هذا وانه بلغنا كتابكم ففرحنا به وحمدنا لكم الله اذ كنتم بخير والذي اوصيك به نفسي وايك تقوى الله والصبر على مكاره النفوس قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا والناجي منا ياخذ بيد اخيه ولا ننسوا من صالح دعواتكم في خلواتكم وجلواتكم كما نحن كذلك ادعوا بالسنة لم نعصوا بها قال بعض العلماء وهي دعاء المرء لاخيه عن ظهر غيب والسلام حرر في اواخر صفر الخير عام ١٢٩٨
المحب
عبد الله بن محيي الدين الحسني

رسالة الأمير عبد القادر إلى الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم

مقولة تاريخية هامة سارت على نهجها لالة زينب، فلقد أدركت البعد الفكري العميق لمقولة الأمير عبد القادر لوالدها الشيخ المؤسس، فالبناء الحقيقي الممتد للمجتمع يصنعه العقل والعمل والوعي الفكري، بذا يكون البعد الحضاري التحرري الحقيقي للمجتمعات والأمم، وإذا أدركت الأجيال ذلك، فإننا سنشهد المئات من الشخصيات الحضارية تصنع تاريخ مجتمعاتها وأوطانها وأممها بوهج حضاري عصري جديد، لكنه يمتاز بذات المقومات الحضارية التي أرخ لها علماء الاجتماع القدامى والمحدثون، وعلى رأس العلماء المعاصرين في علم

الاجتماع مالك بن نبي، الذي ننطلق في بحثنا هذا من رؤيته العميقة لمفهوم الحضارة؛ فمفهوم الحضارة عند مالك بن نبي يعني﴿ سياج حصانة للإنسان يحميه من الهمجية﴾[13] كما أن الحضارة عنده توضع كمفهوم مقابل للبدائية لا للبداوة، فليست تعني الحضارة عنده المدنية في مقابل البداوة، بل سلوكا فكريا راقيا ضد الهمجية، التي تفقد الإنسان إنسانيته، فبالفكر وحده يحقق الإنسان كيانه، وبالفكر تصنع الحضارة، نواتها المحورية عند مالك بن نبي الإنسان، فأي مشروع إصلاحي يبدأ بتغيير الإنسان، لأنه المخلوق الوحيد القادر على قيادة حركة البناء، وتحقيق قفزات نوعية تمهيدا لظهور الحضارة، يقول مالك بن نبي:﴿ لكي نقيم حضارة ما يجب أن نصنع رجالا في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت في بناء أهدافهم﴾[14].

إن الإنسان في هذه المعادلة هو مفتاح الإشكالية وهو أساس البناء فيها، ويحتكم مالك بن نبي إلى ما يسميه بمختبر التاريخ ليدلنا على المركب المفهومي للحضارة، القائم على عناصر ثلاثة:" الإنسان، التراب، الوقت" فالحضارة عند مالك بن نبي معادلة يمكننا صياغتها فيما يلي:

الحضارة= الإنسان + التراب+ الوقت.

مضيفا مالك بن نبي البعد الأخلاقي الذي يمثل القيمة الروحية في مقابل البعد الجمالي المتمثل في الذوق حتى تتوازن معادلة الحضارة كمفهوم وواقع، يمثل البعد الأخلاقي هبة من السماء، تكتسبها الحضارة مع نزول الأديان، وتكون بذلك مهمة الحضارة في المجتمع هي بث أواصر الألفة بين أبناء المجتمع، أما البعد المتبقي في بناء معالم الحضارة هو الذوق الجمالي، إنه الجمال الذي لا بد أن نستشعره في نفوسنا وينعكس على أفكارنا وسلوكنا، وعلى العالم المادي من حولنا من بناءات وشوارع، مثل ما نجد ذلك في بلاد الأندلس، وفي الحضارة الأوربية، مؤكدا مالك بن نبي على ضرورة عدم المبالغة في الاهتمام بالجمال المادي إلى حد الترف، وأهمية التوازن بين القيم الروحية الجمالية المتمثلة في القيم الأخلاقية، فهي جمال روحي، وبين الجمال المادي، لأن نواة الحضارة الإنسان، والإنسان مادة وروح، فأي إغفال لأحد الجانبين يفقد الفكر الإنساني جماله، فالحضارة ـ وفق منظور مالك بن نبي ـ تنبني وفق مجموعة من القيم أساسها الإنسان، عمودها التراب أي البيئة، قانونها التنظيمي الوقت، بعدها الروحي الأخلاق، وبعدها الجمالي الذوق.

ونحن إذا ما تأملنا فكر لالة زينب ومقدمته لمجتمعها نجده فكرا قياديا ودورا حضاريا رياديا بامتياز؛ أولا: الإنسان؛ لقد اهتم بها والدها كقيمة إنسانية واهتمت هي بكل فرد في مجتمعها باعتباره إنسانا، اهتماما قائما على ثلاثية﴿ العقل، المادة ،الروح﴾، فكما راحت تؤمنه اقتصاديا، أمنته فكريا بالعلم، وروحيا بالإطار الديني الصوفي، سائرة في ذلك على نهج والدها الشيخ المؤسس لزاوية الهامل، زاوية لم يكن دورها مقتصرا على إطعام المساكين وإيواء اليتامى والمشردين، بل بناء فكر وأمة ببناء الفرد الإنسان، فتخرج من هذه المؤسسة الآلاف من الطلبة والمئات من العلماء المؤثرين بدورهم في مجتمعاتهم، سائرين على نهج الزاوية التي تخرجوا منها، إنه الإنسان مهد الفكرة وذروة الفكر في المشروع الحضاري الذي بدأه الشيخ المؤسس لزاوية الهامل الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم وواصلته ابنته الولية الصالحة لالة زينب.

لقد كان الإنسان محور اهتمامها، مسخرة حياتها كلها لخدمة الإنسان في مجتمعها، فلقد أسرت إلى صديقتها إيزابيل ابرهاردت أنها سخرت حياتها كلها لخدمة الناس والضعفاء والمحتاجين، فلا مكان لديها للزواج أو العواطف والمشاعر الزوجية، كانت تفتح يومها بصلاة الفجر ببيتها، وبتلاوة جزء من القرآن الكريم، وكانت دائمة التكرار لسورة المؤمنون، ثم تخرج إلى مقابلة الزوار والمريدين وتتفقد أحوال الطلبة والمقيمين بالزاوية، تقضي حاجات الناس وشؤونهم وتسهر على رعاية مصالحهم، وقضاياهم، تساعد الفقراء والمحتاجين، تستقبل الضيوف والزوار من كل مكان، ولقد بلغت شهرتها العالم الغربي، فكان يأتي إلى زيارتها والتعرف عليها الكثير من أعلام العالم الغربي، من أدباء وصحافيين وسياسيين، معجبين بشخصيتها وصلابتها في طلب الحق، وتأثيرها على مجتمعها الذي تعيش فيه، وكانوا يرون فيها أنموذجا متميزا للمرأة العربية التي خرجت عن التقاليد والأعراف البالية وتولت تسيير مؤسسة دينية بهذا المستوى والأهمية، كان لها قاعدة شعبية

وتأثير خطير على مناطق عدة من الوطن, ولأن الإنسان كان مشروعها، ولأن الإنسان هو الفكر، كانت لالة زينب تعود بعد أعمالها وإنجازاتها الاجتماعية والعلمية والدينية، إلى مكتبتها تنهل من أمهات الكتب وتأنس بها، فلقد كانت إمرأة علم ودين، والإنسان كمشروع حضاري لها لن يتطور ولايكون إلا بنور العلم.

ثانيا: التراب أي البيئة؛ لقد كانت البيئة أرض الهامل وترابه، ووهج هذه الأرض كانت زاوية الهامل، وعن هذا المكان تقول ايزابيل ابرهارت:﴿ الهامل في الجنوب الشرقي، متماسك ويضم وديانا ممتدة واسعة، لكنه في الوسط يعرف انجرافات ينتصب في وسطها كهف شاهق، ويضم في الأفق جبلا مخروطيا، شبيها بالقميرة، في الخلف ينفتح بغموض وشساعة سهل مزرق.... بيوت الشرفة المجاورة للزاوية لها حيطان عالية مبنية بالطوب، هذه البيوت لها شكل الحصون البابلية، لما لها من مربعات متقابلة وأسطح مسطحة تغطي على الساحات الهندسية، أشجار اللوز التي تحتل الجنائن لم تزهر بعد﴾[15] وقولها أيضا:﴿ ... انتهاءً في المنعرج يظهر الهامل مقسما إلى اثنين، فهو مبني على ربوتين، الأولى شبه مخروطية، تحتضن قرية الشرفة، بطابعها الصحراوي، كلها بالطوب الغامض، وعلى الثانية الأكثر علوا تنتصب الزاوية التي تشبه الحصن وهي ملبسة بالطوب في اللون الفاتح الأبيض تقريبا﴾[16]

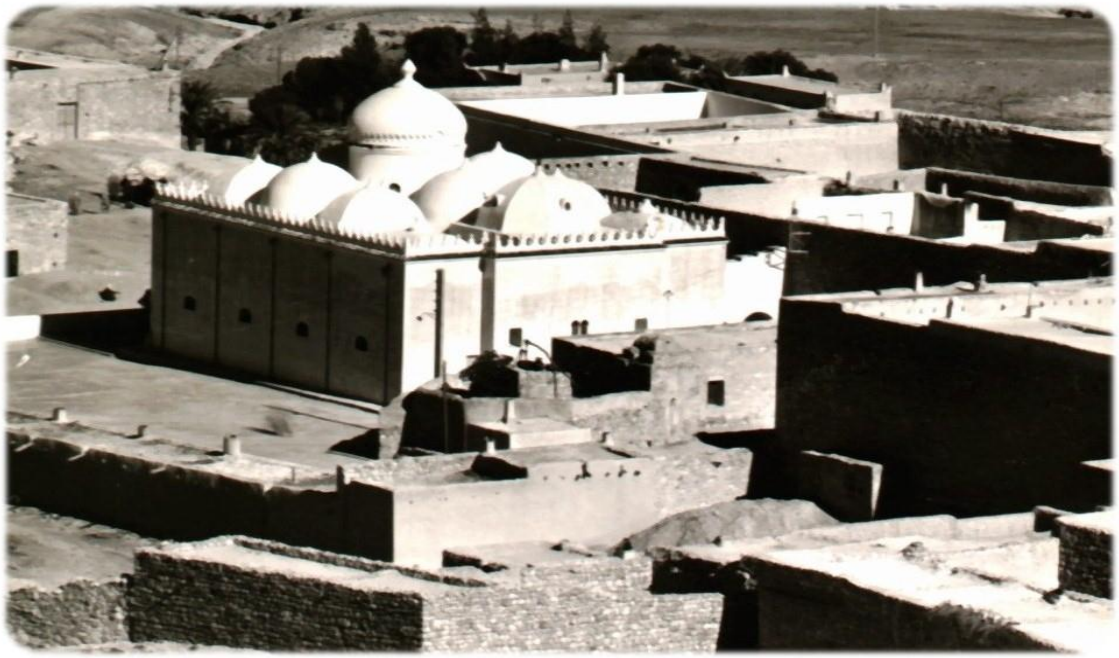

لقد كان ارتباط لالة زينب ببيئتها وبزاوية الهامل ارتباطا جعلها تزهد في الدنيا لخدمة هذه الأرض وناسها، وبناء مجتمعها وخدمة الزاوية التي كان يأتيها الناس من كل حدب وصوب، فليست العبرة بالجدران بل بالكيان والوجدان والبناء الروحي للأجيال، فليست ترأس لالة زينب مكانا عاديا، بل زاوية هي وجهة العلماء العاملين، والباحثين المدققين، والصانعين لفكر الأمة. يقول شارل دي غالان في رحلته إلى زاوية الهامل:﴿ في هذا المعهد يوجد 400 مؤمن جديد أين يقوم الطلبة بتدريسهم القرآن والنحو، والقواعد وعلم الفلك، والحساب، وعلوم الدين والشريعة، وتكوين العلماء الجدد﴾.[17]

وعن زاوية الهامل كمعهد إسلامي حضاري يقول محمد علي دبوز:﴿ فإن عظمة هذا المعهد الهاملي كانت لعظمة مؤسسه فعبقريته العلمية، شخصيته القوية، وإخلاصه وبراعته وحكمته هي التي جعلت المعهد الهاملي يطلع طلوع الشمس قوية زاهرة، فاشتهر سريعا، وبعد أن كانت قرية الهامل تضم مدرستين قرآنيتين وبعض الكتاتيب الصغيرة عند بداية الاحتلال صارت مركز إشعاع علمي وديني عظيم ومعلما نيرا﴾[18]

ويصف الأستاذ أحمد توفيق المدني الجو العلمي بزاوية الهامل قائلا:﴿ وهكذا يقضون الليالي والأيام، والأشهر والأعوام، لا يشغلهم عن العلم شيء ولا تلهيهم أمور الدنيا عن ذكر الله... وغادرت الهامل... ولا يزال قلبي يهفو إلى ذلك المعقل من معاقل العلم والهدى والنور الصحيح، ولا أزال ولن أزال أذكر، ما بقي في رمق ليلة من ليالي الأنس والبهجة الروحية قضيتها في روضة من رياض الجنة.﴾ [19]

ويقول رائد الفكر الحضاري تنظيرا وتأصيلا في العصر الحديث مالك بن نبي عن زاوية الهامل باعتبارها معقلا ومعلما حضاريا:﴿ الحمد لله على الفرصة التي فزت بها لزيارة هذا المعهد المعمور الذي يعلن عن المهمة الكبرى التي يقوم بها، حقيقة خالدة ألا وهي أن الأشياء من عمران وتقدم، تبتدئ من نقطة انطلاق واحدة في كل المجتمعات، ألا وهي الدين. أشكر الأخ الشيخ مصطفى القاسمي الذي تفضل علينا بعرض الذكريات الثنية المتعلقة بتاريخ المعهد في مختلف مراحل التاريخ الجزائري المعاصر. الهامل 11جوان 1967م.﴾ [20]

ثالثا: الوقت؛ القانون الرئيسي للتنظيم وبناء الحضارة، ولأن منهج لالا زينب كان منهجا دينيا صوفيا، فلقد كان للوقت قيمة كبيرة، فرغم الفترة الوجيزة التي قضتها في مشيخة الزاوية 7 سنوات، إلا أنها استطاعت أن تضيف على ما قدمه والدها، مواصلة سيره، سائرة على نهجه وخطاه، وحققت للزواية ما لم يحققها بعدها أحد.

أما عن البعد الأخلاقي والبعد الجمالي؛ فما زاوية الهامل إلا محراب ديني وما أرض الهامل إلا أرض الروحانيات، ولقد كانت زاوية الهامل رائدة الطريقة الرحمانية في المغرب العربي، فالجو الذي عبق عصر لالا زينب هو جو صوفي جمالي بحت، فما الزهد في الدنيا إلا قيمة روحية جمالية، وما الفناء في خدمة المجتمع إلا قيمة روحية أجمل، ومع هذا نجد للبعد الجمالي في وجهه المادي الفني حضورا قويا في مشروع لالة زينب الحضاري، فما البناء الهندسي المعماري لزاوية الهامل، الذي أكملت به ما بدأه والدها المؤسس إلا علامة دالة على الذوق والحس الجمالي الفني عندها، وما وصف الرحالة بول أودال، لزاوية الهامل من الداخل معتبرا إياها قصرا من قصور أوربا إلا برهان بيّنا على البعد الفني الجمالي للفكر الحضاري عند لالة زينب. يقول بول أودال واصفا زاوية الهامل من الداخل:﴿... كانت مفروشة من هذه الزرابي الثخينة من صوف، تصدع بألوان حمراء وخضراء، جلبت من جبال عمور، ما عدا هذا، فالأثاث لاشيء فيه شرقي، أريكة بزخرفة أوربية، كراسي ومقاعد وفيرة، بمساند ذي الذراعين، صنعها حرفي فرنسي... على طاولة كبيرة، مستديرة، امتد سماط دمقسي، ناصع البياض، تم وضع غطاء، لاشيء ينقص على المائدة، كما هو الحال في أغلب القصور الأنيقة، لقد أخطأنا التقدير حين احتطنا بأواني الطعام، وقد وجدنا أنفسنا داخل قصر فرنسي.﴾ [21]

مواصلا قوله:﴿ كانت مأدبة فاخرة جدا، قلبت تصورات الجماعة المسبقة، رأسا على عقب، فيما يتعلق حتى في أسلوب تناول الطعام، الذي توقعوه صورة لمحيط اجتماعي عام، يزخر بالبؤس و التخلف، يفتك به الظمأ والجوع، فإذا الموائد الفاخرة، والأدوات الحديثة، والماء العذب الزلال.﴾ [22]

محققة هذه السيدة التوازن بين القيم الأخلاقية الروحية والقيم الجمالية المادية، وفق منظور مالك بن نبي للمشروع الحضاري الذي ينطلق من الإنسان وينتهي إلى الإنسان، منطلقا المشروع النهضوي الحضاري الهاملي من الشيخ المؤسس وابنته منتهيا إلى الأجيال الهاملية الحديثة التي ما زالت تتنفس بإنجازات الأجداد، غير أن هذا غير كاف، لأن النهضة تعني الوعي والعلم والعمل من أجل هذه الأمة، ونحن بأمس الحاجة للحديث والغوص في هذه الشخصية النموذج ونعني بها لالة زينب ومنه والدها الشيخ المؤسس، لا لمجرد التغني بالماضي، بل من أجل الكشف عن مشروعهم وعملهم الحضاري، الذي لا يقف عند حدود العصر بل يخترق كل عصر إذ نحن فهمنا مقتضياته وفككنا أبجدياته. وعن هذا المشروع الحضاري الذي ابتدأه الشيخ المؤسس سيدي محمد بن أبي القاسم، وواصلته ابنته الصالحة لالة زينب، تقول الباحثة الأمريكية جوليا كلنسي سميث:" إن استراتيجية الشيخ محمد بن أبي القاسم في المقاومة والبقاء، واستراتيجية خليفته لالة زيتب لم

تكن قطيعة كاملة مع الماضي، إنما طريقة تغيير سياسي نتج عن تقييم دقيق وواقعي لآفاق النشاط السياسي والاجتماعي، مبنية على قراءة أسباب فشل الخطط والمناهج التي سبقته، ففي حرب الهوية، مسلحة كانت أم لا، كوّنت المقاومة الثقافية دفاعا أقوى من جميع الثورات"[23].

وهذا هو أس وأساس الفكر الحضاري أي الهوية، فهوية الإنسان بفكره وإبداعه، وهوية المجتمع بأصالته والمضي قدما نحو آفاقه ومستقبله، بالفكر والإنسان وأصالته وعيا وأرضا، لغة وتاريخا، دينا وإيمانا، واقعا وآفاقا. فلم يكن المشروع الحضاري الذي أسسه الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم وواصلته لالة زينب يرتبط بالإنسان الجزائري بقدر ماهو يرتبط بالإنسان كإنسان مهما كان العصر والزمان، ليس مشروعا يرتبط فقط بالاستقلال في مقابل الاحتلال، بل هو مشروع أكبر، إنه مرتبط بالفكر، مرتبط بالإنسان الهوية والكيان.

أولا : المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. آفاق جزائرية، مالك بن نبي، مكتبة عمار،ط2،1971م.
2. تأملات، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1985م.
3. شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1960م.
4. الصراع الفكري، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، 1979م.
5. التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، علي القريشي، الزهراء للإعلام والنشر،ط1، 1989م.
6. الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، هنري كلود، ترجمة: محمد عيتاني، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، د. تاريخ .
7. أسس التقدم الفكري، فهمي جدعان، دار الشروق، ط2،1988م.
8. الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7،1987م.
9. مشكلة الأفكار،عبد العظيم علي، دار الدعوة، ط1،1979م.
10. ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1984م.
11. وجهة العالم الإسلامي،مالك بن نبي ، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، 1954م.
12. الاتجاهات الفكرية المعاصرة، علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط3. د.ت.
13. أساليب الغزو الفكري، محمد جريشة، محمد شريف الزيبق، دار الاعتصام، ط2 ،1987م.
14. الحركة الوطنية الجزائرية، أبو القاسم سعد الله، المغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1922م.
15. حقيقة الجزائر، عبد الحميد الجزائري، مكتبة الجزائر، الجزائر، د.ط، د.ت.
16. حوار الحضارات، رجاء جارودي، ترجمة عادل العوّا، بيروت، منشورات عويدات، ط4، 1982م.
17. تعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م.
18 . حياة كفاح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1977م.
19. منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف" ، الشيخ عاشور الخنقي، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط1، 1914م.
20. نهضة الجزائر وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1964م.
21. الهامل مركز إشعاع ثقافي وقلعة للجهاد والثورة"، الحاج مزاري، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 1993م.
22. هذه هي الجزائر، محمد توفيق المدني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د,ط، د.ت.
23. موجز في تاريخ الجزائر، عمور عمار، دار ريحانة، الجزائر، ط2، 2001م.
24. تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، بيروت، ط1984،9م.

25. محاضرات في تاريخ الحديث، عبد الرحمن الجيلالي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ط، 1983م.
26. الحركة الوطنية الجزائرية، أبو القاسم سعد الله، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1982م.
27. عصر الأمير عبد القادر الجزائري، ناصر الدين سعيدوني، مؤسسة البابطين، الكويت، 2000.

ثانياً: المصادر باللغة الأجنبية :

1-AGERONE CHARELES REBERT : Histoire de l'Algérie contemporaine, PUF, Paris 1970.
2- AL-QUASIM SA'ADALLAH : La Montée du Nationalisme Algérien (1900- 1930), le 2d ED, (Alger :entreprise national du livre ; 1985).
3- A. NADIR, Les Ordres Religieux et la Conquête Française ,Revue Algérienne.
4- COAM, AIX EN PROVENCE
5- CHARLES DE GALLOND, à BOUS- SAADA et M'SILA (Paris d'excursion : Ollendorff ,1899).
.6- CHIH RACHIDA : Le Soufisme au Quotidien , Sindbad , Actes Sud , 2000
7- CLANCY-SMITH JULIA.A: Rebel and Saint Muslim Notables, Populist Protest, Colonial Encounters, Algeria and Tunisia, BERKELEY UNIVERSITY 1994.
8- DAVID C.GORDON, Femmes de l'Algérie : un essai sur le changement (Cambridge : presse de l'Université de Harvard 1968).
9- DE NEVEU : les Khoans. Ordres Religieux chez les Musulmans , Jordon Alger 1913.
10- DERMENGHEM EMILE, 1954, Le Culte des Saints dans l'Islam Maghrébin , Paris GALLIMARD .
11- DEPONT ET COPPOLANI, Les Confréries Religieuses Musulmanes , Jordon 1897 Alger .
12- DOTTE E : 1900 « Notes sur l'Islam Maghrébin. Les Marabouts ».
13- E KELLER, Le Général de La Moricière, sa vie militaire, politique et religieuse.
14- GAID MOULOUD : Moukrani. ED, Andalouses, 1993.
15- Général P.J .ANDRE (C.R) de l'Académie des Sciences Coloniales, contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes .TOME II essai sur les confréries religieuses musulmanes en Algérie, édition la maison des livres, Alger 1956.
16- HELEN C.GORDON, une femme au Sahara « New York charge ,1914 », 77.
17- ISABELLE EBERHARD, Notes de Route, Fasqualle ,
Paris 1908.
19- J- BERQUE : le Maghreb Entre les Deux Guerres. Seuil 1962.
20- J-BERQUE : l'Intérieur du Maghreb (3) Augustin Berque :
Bulletin de la Société de Géographie et Archéologie de la Province d'Oran.
21- J-BERQUE, l'Intérieure du Maghreb, les siècles de XVe-XIXe (Paris : Gallimard ,1978).

الهوامش:

[1] ***مقدمة كتاب" منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف"، الشيخ عاشور الخنقي، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط1، 1914م.***

[2] ***المرأة الصوفية : الضغوطات والرهانات، مشيخة لالة زينب أنموذجا" 1850-1904م"، محمد رؤوف قاسمي الحسني، محاضرة في الملتقى الدولي الخامس: تصوف، ثقافة، موسيقى، تيزي وزو،تنظيم المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، وزارة الثقافة، الجزائر، ديسمبر 2008م، ص15.***

[3] ***من أرشيف زاوية الهامل، وثائق لالة زينب.***

[4] ***صورة الجزائر أرضا وإنسانا، بول أودال، قراءة عمر بن قينة، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، د.ط، 2010، ص 63.***

[5] ***صورة الجزائر أرضا وإنسانا، بول أودال، قراءة عمر بن قينة، ص 63.***

[6] ***صورة الجزائر أرضا وإنسانا، بول أودال، قراءة عمر بن قينة، ص 69.***

[7] ***صورة الجزائر أرضا وإنسانا، بول اودال، قراءة عمر بن قينة، ص 64.***

[8] *CHARLES DE GALLOND , à BOUS- SAADA et M'SILA (Paris d'excursion : Ollendorff ,1899), pp32-33*

[9] - CHARLES DE GALLOND , à BOUS- SAADA et M'SILA (Paris d'excursion : Ollendorff`,1899), p33.

[10] Ecrits sur le sable (récits, notes et journaliers), Isabelle EBERHARDT, Grasset, Janvier 1989.

[11] نفحات هاملية بين الرواية والحقيقة وبين الحقيقة والوثيقة، قاسمي الحسني عواطف، الجزائر،ط1، 2014م، ص 33.

[12] من أرشيف زاوية الهامل، وثائق الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم، رسالة الأمير عبد القادر إلى الشيخ.

تأملات، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق،دط، 1997، ص199. [13]

[14] تأملات، مالك بن نبي، ص 199.

[15] **Ecrits sur le sable** (**récits**, **notes et journaliers**), **Isabelle EBERHARDT**, **Grasset**, **Janvier 1989**.

[16]**Ecrits sur le sable** (**récits**, **notes et journaliers**), **Isabelle EBERHARDT**, **Grasset**, **Janvier 1989**.

[17] CHARLES DE GALLOND , à BOUS- SAADA et M'SILA (Paris d'excursion : Ollendorff`,1899), p-33

[18] نهضة الجزائر وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، المطبعة التعاونية، دمشق، ط1، 1964م، 34/1.

[19] حياة كفاح، أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1977م، 94/2-95.

[20] ينظر نفحات هاملية بين الرواية والحقيقة وبين الحقيقة والوثيقة، قاسمي الحسني عواطف،د.د،د.ط، 2014، ص 26.

[21] صورة الجزائر أرضا وإنسانا، بول أودال، قراءة عمر بن قينة، ص 67.

[22] صورة الجزائر أرضا وإنسانا، بول اودال، قراءة عمر بن قينة، ص 70.

[23] Rebel and Saint,Musilim Notables,Populist Protest,Colonial Encounters"Algeria and Tunisia,1800- 1904",Julia A.Clancy-Smith,university of California prress,1994,pp232-233.